فخر الرسل

ونحن نتمتع في هذه الأيام بصوم آبائنا الرسل أتذكر قول القديس البابا كيرلس عمود الدين في مقدمة قانون الإيمان واصفاً السيد المسيح بأنه: "فخر الرسل، إكليل الشهداء، تهليل الصديقين، ثبات الكنائس، غفران الخطايا". وكأن القديس كيرلس قد لخص بإيجاز بارع مركزية السيد المسيح، فهو اللؤلؤة كثيرة الثمن التي من أجلها باع آباؤنا الرسل كل شيء لكي يقتنوها.

لقد كان السيد المسيح هو الموضوع المحوري لكرازة الرسل. ولأنهم شعروا بعظم فقرهم، وجهلهم، وضعفهم فإنهم لما نالوا نعمة البنوة لله من خلال السيد المسيح صار هو موضع فخرهم وزهوهم. وقد برع بولس الرسول في وصف ذلك في قوله: " فانظروا دعوتكم أيها الإخوة، أن ليس كثيرون حكماء حسب الجسد، ليس كثيرون أقوياء، ليس كثيرون شرفاء، بل اختار الله جهال العالم ليخزي الحكماء. واختار الله ضعفاء العالم ليخزي الأقوياء. واختار الله أدنياء العالم والمزدرى وغير الموجود ليبطل الموجود، لكيلا يفتخر كل ذي جسد أمامه. ومنه أنتم بالمسيح يسوع، الذي صار لنا حكمة من الله وبرا وقداسة وفداء. حتى كما هو مكتوب: من افتخر فليفتخر بالرب" (١كو١: ٢٦-٣١)

لقد انحرف الكثير من الخدام على مر العصور فحادوا بموضع فخرهم عن السيد المسيح. لقد صاروا يفتخرون إما بقدراتهم ومواهبهم الشخصية، أو بأرصدة كنائسهم في البنوك، أو برصيدهم من المحبة والشعبية لدى المخدومين، أو بتقدمهم في السن وخبراتهم، أو بممارساتهم النسكية وبرهم الذاتي، أو بدراساتهم وشهاداتهم العلمية، أو بتاريخهم الحافل بالمنجزات والمشاريع. أما آباؤنا الرسل فلم يقتنوا لأنفسهم أياً من هذه الأمور بل قدموا نموذجاً رائعاً لكل أسقف، وكاهن، وخادم حيث تهللوا مع المرنم قائلين: "بالله نفتخر اليوم كله" (مز٤٤: ٨)، وانطبق عليهم قول المزمور: "لأنك أنت فخر قوتهم" (مز٨٩: ١٧).

وعبارة "فخر الرسل" لا تحمل زماناً، بمعنى أن السيد المسيح لم يكن فقط فخر الرسل في حياتهم على الأرض بل أنه سيبقى فخرهم إلى أبد الآبدين في الدهر الآتي. فالافتخار هنا ليس فعلاً في زمان محدد بل هو حالة دائمة. ولا يمكن لأحد أن يفتخر بشيء أو بشخص يشعر بأنه وضيع بل دائماً ما يفتخر الناس بأمور يثمنونها ويشعرون بعلو قيمتها. من ثم لم يكن الرسل ليفتخرون بالسيد المسيح ابن الله لو لم يكونوا قد قبلوا شهادة الآب عنه التي سمعوها بآذانهم في معموديته وتجليه على جبل طابور، وكذلك شهادة الروح القدس عنه في قلوبهم. والافتخار مرتبط بالفرح. فما من أحد يفتخر بشيء أو شخص ثمين وهو حزين معبس الوجه. إنه إذ يشعر بعظم النعمة ومجانية العطية الإلهية الفائقة يبتهج

متهللاً. وهو أيضاً مرتبط بالشكر والتسبيح إذ أنه حيثما يوجد الفخر لا يوجد موضع للتذمر والدمدمة بل للحمد والتهليل.

ليتنا نتعلم جميعاً كيف نثبت أنظارنا على السيد المسيح فيصير هو وحده موضع فخرنا كمثل الآباء الرسل فنتهلل مع عذراء النشيد بفرح قائلين: "هذا حبيبي وهذا خليلي يا بنات أورشليم" (نش٥:١٦)